﴿قَالُوٓاْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [الأنبياء: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

جعلُ السَّماعِ وسيلةً للتّهمة

لَمّا أنكر عُبّادُ الأصنامِ ما فعلَه إبراهيمُ عليه السلام من الكَسْرِ والحَطْم واتَّهموه بالظُّلم؛ قال مَن سمع توعُّدَ إبراهيمَ إيّاهم بأن يكيدَ أصنامَهم بعد أن يُولُّوا مُدبرين: ﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتًى﴾: الفَتيُّ: الطَّريُّ من الإبِل، والفَتَى من النّاس: واحدُ الفِتيان، وهو الطَّريُّ من الشَّباب، يُقال: فتًى بيِّنُ الفَتاء، والأُنثى: فتاةٌ، والمصدرُ: فتاءٌ وهو الشَّباب، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: 10]، ويُكنَّى بهما عن العبدِ والأمَة، قال تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [النّساء: 25]؛ أيْ: إمائكم[2]، وقوله تعالى: ﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ﴾؛ أيْ: شابٌّ، وهو إبراهيمُ عليه السلام[3].

2) ﴿يَذۡكُرُهُمۡ﴾: ذكَرَ يذكُرُ ذِكرًا، وذكرتُ الشَّيء، خلاف نسيته، ثمَّ حُمِلَ عليه الذِّكرُ باللِّسان، ويقولون: اجْعلْه منك على ذُكْرٍ بضمِّ الذّال، أيْ: لا تَنْسَه، قال الله تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42][4]، وقوله تعالى: ﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ﴾؛ أيْ: يذكرُهم بالسُّوء؛ أيْ: يعيبُهم ويسبُّهم ويستهزئ بهم[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جنَّدَ إبراهيمُ عليه السلام شبابَه لتحطيم الآلهةِ المُزَيَّفة

قال مَنْ سمعَ إبراهيمَ عليه السلام قبل ذلك يحلفُ بالله ويتوعّد الكافرين

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 99.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (فتى).
(3) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 565.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (ذكر).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 39، والبغوي، معالم التَّنزيل: 5/ 324.

لَيكيدَنَّ أصنامَهم المزعومة من دون اللّه: سمعْنا شابًّا، يذكرُهم بالسُّوء ويسبُّهم ويستهزئ بهم، يُقال له: إبراهيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصل الجملة في صدر الآية:

شـيـوعُ خـبرِ تـوعُّـدِ إبـراهـيـمَ لأصنامِهم

جاء قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ اسْتئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن القولِ السابق في الآية السابقة؛ لأنَّهم كلّهم لم يكونوا قد علموا مقالة إبراهيم ﷺ، والقولُ السابقُ في قوله: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ هو قولٌ للجميع[2]؛ الذي سمِع مقالة إبراهيم والذي لم يسمعها؛ لأنَّ الكل لم يكونوا يتوقَّعُون ذلكَ؛ فكأنَّ سائلًا سأل عن حال مَن سمعَ مقالته ﷺ؛ هل قال شيئًا لمَن لم يسمعها؟ فلهذا غابت الواو، ثم مجيءُ: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ بعد: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾: يُشْبِه مجيء الجواب بعد السؤال؛ فلهذا أيضًا فُصِل الثاني من الأول لفظًا.

إيثارُ الفعل ﴿سَمِعۡنَا﴾ مادّةً وصيغةً:

تـحـقُّـقُ فـعـلِ السَّماع بصوتٍ آكدُ من السَّماعِ بواسطة

في قوله تعالى: ﴿سَمِعۡنَا﴾ حصولُ السَّمع من الَّذين قالوا: سمعنا؛ أيْ: سمعوه ﷺ بالذّات يذكرُهم؛ يعني: سماعًا بصوت، ويمكن أن يُراد: قد سمعوا من النّاس أنَّه ﷺ يذكرُهم بسوء، وفي كلا الحالَيْن مع صيغة الماضي يُرادُ تحقُّقُ عينِ السَّماع من مقال إبراهيمَ في الأصنام أنَّه سيكيدُهم وسيجعلُهم جُذاذًا؛ قِطَعًا مُكسَّرةً محطَّمة[3].

فائدةُ التَّعبير بـ (نا) الدّالَّة على الفاعلين:

تحقُّقُ السَّماعِ لوعيدِ إبراهيمَ من جماعةٍ من عَبَدَةِ الأصنام

ظاهرُ قوله تعالى: ﴿سَمِعۡنَا﴾ يدلُّ على أنَّ القائلين جماعةٌ لا واحد، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا من قبلُ قد عرفوا من إبراهيم ﷺ وسمعوا ما يقوله من سوء في آلهتِهم المزعومة، فغلبَ على قلوبِهم

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 174، والخازن، لباب التَّأويل: 3/ 299.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 154، والآلوسي، روح البيان: 9/ 61.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 447، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 711 - 712.

أنَّه الفاعل، ولو لم يكن إلّا قولُه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ [الأنبياء: 52] إلى غير ذلك لكفَى[1].

إجرامُ الكافرين مع مَنْ يخالفُ عقيدتَهم ويُهينُ معبوداتِهم

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿فَتًى﴾ وفائدةُ تنكيره:

الفَتَى: الذَّكَرُ الَّذي قويَ شبابُه، والأصلُ في إطلاقه أنَّه صفةُ مَدْحٍ دالَّةٌ على اسْتكمالِ خِصالِ الرَّجل المحمودة، لكنَّ إطلاقه هنا بهذا اللَّفظِ لعدم معرفتِهم له، أو وقوفهم على أوصافه الَّتي تحدِّدُ شخصيَّتَه والوصول إليه، فالمرادُ: أيُّ شابٍّ من الشَّباب، فهو يصدُقُ على أيِّ فتًى[2]، وجاء تنكيرُه لهذه العلَّة، أو هو ازدراءٌ منهم له لتكسيرِه أصنامهم، وإهانته معتقداتهم، ويجوز أن يكونوا قد عبَّروا عنه بـ: ﴿فَتًى﴾؛ اعتذارًا لآلهتهم؛ بأنَّ هذا فعلُ مَن به ضعف في عقلِه وفكره؛ لحداثة سنِّه؛ لئلا يُسْمَعَ له؛ ولهذا فذكرُه إيَّاهم بسوءٍ ناشئٌ عن ذلك أيضًا، ويكون تنكيرُه؛ لإفادة ضعفه وصغاره في أعينهم.

البلاغةُ مع تحقُّق المبالغةِ والاستمراريَّةِ في ذكر آلهةِ الكافرين بالسُّوء

إيثارُ الفعل ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ مادَّةً وصيغة:

في نسبة الذِّكر إليه ﷺ وجعلِ جملته ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ صفةً لـ ﴿فَتًى﴾ بلاغة ضافية، لِما في ذلك من إيقاعِ الفعل على المسموع منه، فيفيدُ أنَّهم سمعوه بدون واسطة[3]، وقوله: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ بصيغة المضارع أقوى في معنَى الاستمراريَّة والتّجدُّد، وذلك بتكرير الإسناد إلى إبراهيمَ ﷺ، هذا الفتى الَّذي ما فتئ يُداومُ على ذِكْر آلهتِهم المزيَّفة المزعومة بالسُّوء والتَّهديد والوعيد، حتَّى جاء الوقتُ الَّذي نفَّذَ فيه وعيدَه وأبْرمَ تهديدَه.

سرُّ التَّعبير بضمير الغائبين في: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾:

ورد التَّعبير في قولِه تعالى: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ بضمير الغائبين (هم)

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 155.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 439، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 99.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 61.

ولم يَقُلْ: يذكرُ الآلهة، لوجهيْن؛ أحدُهما: تقدُّمُ ذِكْرِهم في قوله تعالى: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾، والثّاني: أنَّ المُرادَ بقوله: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾؛ أيْ: يعيبُهم؛ أيْ: يذكُرُهم بالنَّقصِ والعَيْب[1]، فهم لم يستحسنوا أن يُسندوا العيبَ إلى آلهتهم فيقولوا: يعيبُ آلهتَنا، أو يسبُّ آلهتَنا.

النَّأْيُ بآلهتهم أن تكونَ محلًّا للعَيْب أو السَّب

بلاغةُ التَّعبير بالفعل ﴿يُقَالُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ﴾ في موضع الصِّفة لـ ﴿فَتًى﴾ وصيغةُ ﴿يُقَالُ﴾ مضارعٌ مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، دالٌّ على أنَّ المُنتصبينَ للبحث في القضيَّة لم يكونوا يعرفون إبراهيمَ عليه السلام، أو أنَّ الشُّهداءَ أرادوا تحقيرَه بأنَّه مجهولٌ لا يُعرَف، وإنَّما يُدْعَى أو يُسمَّى إبراهيم؛ أيْ: ليس هو من النّاس المعروفين، فهو ليس ذا منزلةٍ رفيعةٍ حتَّى يُشارَ إليه بالبَنان، وفعلُ القول إذا بُنِي للمفعول كثيرًا ما يضَّمَّنُ معنى الدَّعوة أو التَّسمية؛ فلذلك حصلتِ الفائدةُ من تعديته إلى المفرد[2].

صاحبُ الدَّعوةِ للحقِّ مجهولُ الهويَّةِ عند أهلِ الباطل

فائدة الجارّ والمجرور ﴿لَهُۥٓ﴾، ونكتة تقديمِهِ:

رُفِعَ لفظ ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ على أنَّه نائبُ فاعل: ﴿يُقَالُ﴾، والأصلُ أن يتقدَّم على الجارّ والمجرور ﴿لَهُۥٓ﴾ فيُقال: (يُقال إبراهيمُ له)، لكنَّ تقديمَ ما حقُّه التَّأخير، وتأخيرَ ما حقُّه التَّقديمُ في هذا السّياق؛ إنَّما كان لتأكيدِ تهوينِ أمرِ إبراهيمَ عليه السلام، وأنَّه لا يُقدَّمُ في الذِّكر عندهم؛ بل هو مُؤخَّرٌ خاصَّةً بفعلته تكسيرَ أصنامِهم وتحطيمَها وإذلالَها وعابديها، وتأخيرُ ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ في الذِّكر إنَّما هو نتاج بناء فعل القول للمفعول، وذِكْرِه باسمه مجرَّدًا.

ليست لِمَن يصدَعُ بالحقِّ مكانةٌ عند أهل الباطل يُقدَّمُ ذِكْرُه من أجْلِها

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتَى والرَّجُل:

الفتَى من النّاس: الطَّريُّ من الشَّباب، يُقالُ: فتًى؛ أيْ: فتًى بَيِّنُ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 5/ 92، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 61.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 99 - 100.

الفتَى والرَّجُلُ متقاربان في المعنَى، والرَّجُلُ فيه زيادةُ قُوَّةٍ

الفَتاء؛ أيْ: بَيِّن الشَّباب[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: 13]، والرَّجُلُ: ضدُّ المرأة، والجمعُ: رجال، وإطلاقُ لفظِ (رَجُل) يفيدُ القُوَّةَ على الأعمال، ولهذا يُقالُ في مَدْحِ الإنسان: إنَّه رَجُل[2]، والأبَرُّ بسياقِ التّهوينِ مِن شأن مَن يريدُ إهانة أصنامهم وإثبات بطلانها مِن جهة ادِّعاء الألوهيَّة لها: التّعبيرُ بالفَتى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات: (فتى).
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 249، والرّازيّ، مختار الصِّحاح: (رجل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»